DOI: 10.33193/JALHSS.70.2021.540
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (70) August 2021
العدد (70) أغسطس 2021

نظريّة المعنى في الآداب والأنظمة الرمزيّة

د. سلمى محمّد عبد الله باحشوان
أستاذ الأدب المشارك - قسم اللغة العربيّة - كلية اللغات والترجمة - جامعة جدّة - المملكة العربية السعودية
البريد الالكتروني: selma.bahechwan@gmail.com

الملخّص:

لم يستوف الدارسون المحدثون نظريّة المعنى في مقالاتهم وبحوثهم، ومردّ هذا النقص أنّ المعنى لم يستكمل في متون القدامى، وقد جاءت آراؤهم في صورة مقدّمات نظريّة نادرا ما تدعم باستدلالات، ولكنّ الدراسات الحديثة استفادت من التراث النحويّ واستدركت على ما ورد فيها من إشارات إلى نظريّة المعنى، فكان فحوى هذا البحث تبيّن أهّم ما توصّل إليه المحدثون في نظريّة المعنى في الآداب والأنظمة الرمزيّة والإضافات التي قدّموها والنقائص التي تخلّلتها، ومن ثمّة ينفتح هذا البحث على أسئلة ملحّة في الدرس النقديّ الحديث.

الكلمات المفتاحية: المعنى، الآداب، الأنظمة الرمزيّة، السياق، الكلام.

The Theory of Meaning in Literature and Symbolic Systems

Dr. Selma Mohammad Abdullah Bahechwan
Associate professor of Literature - Department of Arabic -Faculty of Languages and Translation - Jeddah University - Saudi Arabia
Email: selma.bahechwan@gmail.com

ABSTRACT

Modern scholars did not thoroughly explore the theory of meaning in their researches due to inadequate ancient studies of meaning. Their opinions came in the form of theoretical introductions that are rarely supported by evidence. However, recent studies benefited from the grammatical heritage and investigated the references to the theory of meaning that appeared in these introductions. The significance of this paper lies in showing the most important findings of modernists in the theory of meaning in literature and symbolic systems, the additions they made, and the shortcomings that permeated them. This research opens up on crucial questions in the modern critical lesson.

Keywords: meaning, literature, symbolic systems, context, speech.

DOI: 10.33193/JALHSS.70.2021.540
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (70) August 2021
العدد (70) أغسطس 2021

مقدّمة:

يطرح الدارسون المحدثون نظريّة المعنى باعتبارها نظريّة لم يستوفها الدرس اللغويّ القديم والحديث، وإنّ هذا التمثّل يكاد يكون الأعمّ في الدراسات النقديّة الحديثة، ويتأتّى من تراكم معطيين اثنين: الأولّ: أهميّة النتائج التي توصّل إليها النحويّون القدامى في باب المعنى رغم عدم استكمال هذا المبحث في أقسام مستقلّة، فقد تخلّل كلامهم على السياق اللغويّ وما اصطلحوا باللفظ والمعنى، والثاني: تطوّر النظريات الحديثة في اللسانيّات واللغة وانفتاحها على ما استجدّ في نظريّة المعنى. وتكمن أهميّة هذا البحث في تحليل هذا الجدل المعرفيّ في نظريّة المعنى، وهو جدل أثرى الدرس اللغويّ وانفتح على أسئلة جديدة في هذا الباب، وأمّا أهداف البحث فيمكن أن نوجزها في النقاط التالية:

- تبيّن أنّنظريّة المعنى مبحث مستجدّ لم تستوفه الدراسة ولم تستكمل معالمه.

-انبناء آراء المحدثين على مقالات النحويّين القدماء في نظريّة المعنى.

- إثراء نظريّة المعنى بما استجدّ في الدراسات الحديثة لا سيّما الغربيّة منها، والانفتاح على أسئلة جديدة تطوّر دراسة المعنى.

ويمكن أن أحصر قائمة أدبيّات البحث في المراجع التالية:

- مصطفى ناصف، نظريّة المعنى في النقد العربيّ، ط1، دار الأندلس، لبنان، دت.

- صلاح رزق، أدبيّة النصّ، محاولة لتأسيس منهج نقديّ عربيّ، ط2، دار غريب، القاهرة، 2001.

- لطيفة النجّار، منزلة المعنى في نظريّة النحو العربيّ، دار العالم العربيّ، أبو ظبي، 2003.

-أحمد الودرني، نظريّة اللفظ والمعنى ونظريّة الشعر عند العرب، ط1، دار الغرب الإسلاميّ، لبنان، 2004.

-عبد الفتاح جحيش، نظرية المعنى في الفكر النقديّ عند العرب من الممارسة إلى التنظير: دراسة تحليليّة نقديّة، بحث مقدّم لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربيّ القديم ونقده، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربيّة، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2016-2017.

وقد اخترت خطّة للبحث وفق منهج تحليليّ، والتزمت فيها بمحاور البحث، ومحصّلها العناصر الجوهريّة والفرعيّة التالية:

مقدّمة:

1-نظرية المعنى في المنجز الأدبيّ واللسانيّ:

أ-المفهوم وإيحاءاته:

ب- اللغة والأدب والمعنى:

2- المعنى والثقافة والأبنية الرمزيّة:

أ-السياق الثقافي والاجتماعي للمعنى:

ب- الانفتاح على معنى المعنى:

ج- قصور دراسات المعنى:

الخاتمة، وفيها أهمّ النتائج والتوصيات.

DOI: 10.33193/JALHSS.70.2021.540
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (70) August 2021
العدد (70) أغسطس 2021

1-نظرية المعنى في المنجز الأدبيّ واللسانيّ:

أ-المفهوم وإيحاءاته:

تطوّر مفهوم المعنى في الدراسات الأدبيّة الحديثة والمعاصرة، وهو تطوّر موصول بظهور نظريّات اللغة والأدب، وانعكس بذلك على تعدّد في ماهية المعنى،فـ"المعنى من حيث هو فكرة أو موضوع ليس واحدا حتّى في التعبير الواحد ولدى المتكلّم الواحد، لأنّ المعنى صياغة لحالات ذهنيّة وتأويليّة ممكنة. وبمعنى آخر، فإنّ المعنى هو في جوهره مجرّد طريقة من طرق الصياغة اللغويّة المتعدّدة، وكلّما تحدّدت اللغة التي تحمله وتطابقت المسافة بين الدوالّ ومدلولاتها، وبين الألفاظ ومعانيها، كلّما كانت دلالاتها ومعانيها قليلة أو متشابهة أو متقاربة"[1].

وقد اتضح للدارسين أنّ المعنى يرتبط في جوهره بالفكر لأنّه مقولة مجرّدة منشأها ذهن المتكلّم ثم تحوّل إلى وعاء لغويّ يختلف من ثقافة إلى أخرى، وحريّ بالذكر أنّ هذا النظام اللغويّ لا يكتمل في أيّ ثقافة دون معنى،فـ"المعنى من القضايا الأكثر أهميّة في الكلام البشريّ، فهو الهدف المقصود من أيّ نظام لغويّ، أمّا المستويات اللسانيّة الأخرى (الصوتيّة والصرفيّة والتركيبيّة) فهي حاملة للمعنى، ووسيلة أساسيّة من وسائل التبليغ، ونظرا لطبيعة المعنى التي تمتاز بالغموض والتغيّر والتبدّل؛ كانت الحاجة ماسّة لدراسة هذا المكوّن المهمّ من مكوّنات اللسان البشريّ"[2]. ويتأتّى غموض المعنى من استعصاء إدراكه وفهمه، لذلك يتيسّر المعنى في إطار جماعة بشريّة تنتمي إلى نفس الثقافة الواحدة لأنّها تحمل نفس الرموز الثقافيّة ونفس المتخيّل الجمعيّ.

ولا يكتمل المعنى إلاّ بوجود متحاورين، فالترميز إلى الأشياء والإحالة على مرجعيّاتها لا يمكن أن يكون أحاديّا، أي يتأتّى من محاور على حدة دون أن يشرك الآخرين في التخاطب، ولهذا رأى علماء اللّسان أنّ "المعنى (Meaning) جوهر عمليّة التخاطب، فهو الحقيقة التي يهدف المتكلّمون إلى إبلاغها، ويهدف المخاطبون لاستيعابها وفهمها، ومع ذلك فإنّ الاهتمام به لم يكن كبيرا في الدراسات اللغويّة القديمة، فقد ظلّت الأولويّة للبنية الشكليّة للخطاب اللغويّ على حساب بنيته الدلاليّة"[3].

ويجمع جلّ الدارسين أنّ المعنى "بوصفه روح اللغة، فهو الحقيقة الثاوية في كلّ نظام لغويّ، إنّه الجزء الأكثر حساسيّة في استراتيجيّة التواصل البشريّ، ولهذا السبب يعدّ إدراك المعاني، وتفسيرها، تحدّيا لغويّا وسيميولوجيّا، يتطلّب الاستفادة من كلّ أدوات التحليل، وآليات التأويل"[4]، ومن هذا المنطلق لا ينفصل المعنى عن اللغة بل هو في ثناياها وفي نظامها الصوتيّ والصرفيّ والنحويّ، وهو أساس التواصل وإدراك كنه الأشياء وماهيتها، فلا يكتمل النظام اللغويّ إلاّ به، ولا يتأتّى المعنى إلاّ وفق وجوه السياق الثقافيّ الذي يحمل في طيّاته التصوّرات الذهنيّة للكلمات والأشياء، وهو وعاء يتمثّل فيه الإنسان العاقل والمتكلّم المعاني.

وقد ترتّب على تعدّد نظريّات المعنى ظهور اتجاهات لغويّة تفرّعت آراؤها ولكنّها حصرت المعنى في ثلاثة مستويات، إذ"من الممكن معالجة تعريفات المعنى تحت ثلاثة عنوانات. يتضمّن أوّلها الأوهام المولّدة لغويّا؛ ويضمّ ثانيها الاستعمالات العارضة والشاذّة في مجموعات ويميّزها، ويشتمل ثالثها على الأحوال العلاميّة والرمزيّة عموما"[5]. وإنّ مستند هذه المستويات المختلفة لدراسة المعنى تاريخيّ، فتاريخ اللغة يفيد بأنّ تحوّلا بنيويّا حصل في المعنومردّه وجود حاجة ملحّة إلى إرساء نظام تواصليّ بين المتخاطبين، ولمّا أقرّت هذه الحاجة احتاج الإنسان إلى تعديل هذا النظام التواصليّ وذلك بتقنينه وتبويبه وفق آليات محدّدة يكون فيها المعنى أساسا ترميزيّا للكلمات والأشياء. وقد تمّ تداول المعنى في سياقات دلاليّة كثيرة حملت نفس المقصد، ويعزى هذا التوسّع

---

[1] عبد الفتاح جحيش، نظريّة المعنى في الفكر النقديّ عند العرب من الممارسة إلى التنظير، دراسة تحليليّة نقديّة، بحث مقدّم لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في الأدب العربيّ القديم ونقده، كليّة الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربيّة، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2016-2017، (المقدّمة)

[2] حبيب بوزوادة، إشكاليّة المعنى في ضوء النظريّة السياقيّة، مجلّة أنساق، المجلّد الثاني، العدد الأول، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، 2018، ص، 83.

[3] المرجع السابق، ص، 85.

[4] المرجع السابق، ص، 94.

[5] أوغدن وريتشاردز، معنى المعنى: دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزيّة، ترجمة كيان أحمد حازم يحيى، دار الكتاب الجديد المتّحدة، دت، ص، 369.

DOI: 10.33193/JALHSS.70.2021.540
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (70) August 2021
العدد (70) أغسطس 2021

في الاستعمال إلى عناية الدارسين بهذا المبحث وبحثهم الدؤوب لتأصيله واعتباره علما قائما بذاته، إذ "ثمّة أثر لافت للنظر في مثل هذا العرض يتمثّل في أنّه يجبرنا في الوقت الحاضر على أن نتخلّى عن لفظ" المعنى" نفسه، وأن نستبدل به إمّا ألفاظا أخرى مثل "القصد" أو "القيمة" أو "المرجع" أو"العاطفة" التي يستعمل مرادفا لها، وإمّا الرمز الموسّع الذي ينبثق، خلافا للتوقّع، عقب مشكلة صغيرة"[1].وإنّ هذا التطوّر الدلاليّ في ماهيّة المعنى أملته معطيات ثقافيّة، ذلك أنّ الثقافات غير ساكنة، وهي متطوّرة ويستوجب تطوّرها البحث عن بدائل سيميائيّة في الاصطلاح على الكلمات والأشياء.

وممّا يسترعي انتباه الدارس أنّ نظريّة المعنى لم تغب عن الدرس اللغويّ القديم، فقد اطردت في دراسات معينة، ولكنّها لم تمثّل مادّة مجتمعة، فـ"نظريات دراسة المعنى حاضرة في التراث اللّغويّ والأصوليّ عند العرب القدامى، إلاّ أنّها كانت متفرّقة وغير مجموعة في علم خاصّ بها، ولم يهتمّ أحد من القدامى ببيان إطارها النظريّ ووضع قواعدها وأركانها، وهو ما تحقّق لاحقا على أيدي علماء اللغة الغربيّين الذين اعتنوا بدراسة المعنى"[2].

وقد يعود هذا القصور إلى انصراف النحويّين القدماء إلى تقعيد النحو وتبويبه دون المضيّ في استنباط علم المعاني، وإرساء نظريّة متكاملة ومترابطة في هذا الباب مثلما وقع لاحقا في الدراسات الغربيّة، ولكنّ العرب القدامى تبيّنوا مبكّرا أهميّة السياق في إنتاج المعنى، إذ، "تلتقي نظريّة السياق عند الغربيّين بمفهوم السياق عند العرب القدامى، كابن جنّي والجرجاني وغيرهما؛ حيث أدركوا مبكّرا أثر السياق في تحديد المعنى الدقيق، وكان اهتمامهم بالسياق متّصلا بالمحاولات الحثيثة لفهم القرآن الكريم وتفسيره بالشكل الصحيح"[3]، ذلك أنّ السياق مولّد للمعاني، وإنّ المعنى الذي يترتّب على سياق ومقام معيّن يختلف في دلالته عن السياقات الأخرى، ومن هنا اكتسبت اللغة خاصيّة توليد المعاني، ويعود ذلك إلى أنّ اللغة تنطوي على مقاصد المتكلّم وما يجوس بداخله من أفكار، ولفهم السياق لابدّ من قارئ متّسع الثقافة، ملمّ بالمعاني الأول والثواني.

ب-اللغة والأدب والمعنى:

يفرض الوجود الإنسانيّ تداول المعنى بصفته منظّما للتواصل والتخاطب، وقد كانت رحلة الإنسان في بحثه عن المعنى في سيرورة مستمرّة، "فهو لاينفكّ يكتشف في الأشياء قيما ودلالات ويقرأ فيها رموزا ومعاني. والمعنى مختلف عن الحقيقة. فهو يتّصل بها وينفصل عنها. وهو يتّصل بها من جهة كونه شرط إمكان التصوّر. إذ كلّ ملفوظ أو منطوق به هو تصوّر لمعنى ما. ولكنّه ينفصل عنها من جهة كونه أوسع وأرحب منها. فالحقيقة تحدّ وتستقصى، في حين المعنى يصعب حصره واستقصاؤه"[4].

ولمّا كان المعنى مرتبطا بأنظمة التواصل اللغويّة كان البحث في صلة اللغة بالمعنى من أهمّ الأبواب التي تندرج في باب المعنى واللغة، فهي علاقة جدليّة ثابتة أساسها الترميز للأشياء باللفظ الذي يتحوّل إلى متصوّر ذهنيّ غير مفارق للمرئيّ والمتخيّل والمتداول بين الناس. وقد سعى علي حرب إلى تفريع علاقة اللفظ بالمعنى إلى مستويين، وهما مستويان متداخلان ومتكاملان، الأوّل: "ينظر منه إلى استقلاليّة المعنى في الوجود وأسبقيّته على اللفظ وأولويّته في الزمان والرتبة. والمعنى يتصوّر بحسب وجهة النظر هذه من خلال مفهومات الماهية والذات والقصد والأصل والجوهر والوحدة والبداهة"[5].

إنّ هذا المنظور قائم على تصوّر فلسفيّ قوامه أسبقيّة المعنى باعتبار أنّ الإنسان استنبط الترميز إلى الأشياء قبل اشتقاق النظام اللغويّ، أمّا المنظور الثاني، فيقوم على وجود تكامل بين اللفظ والمعنى ولا أسبقية عن بعضهما البعض، بل هما متزامنان، فـ"ينظر إلى المعنى بارتباطه في اللفظ وعدم انفكاكه عنه. وبحسب وجهة النظر هذه، أي الثانية، يتصوّر المعنى من خلال مفهومات الشكل والنسق، والاختلاف والتعدّد، والاحتمال والاشتباه. وبالفعل، إنّنا نعقل المعنى في المنظور الأوّل كجوهر مكتف بذاته وعلّة ذاته، يوجد مستقلاً عن اللفظ

---

[1] المرجع السابق، ص، 369.
[2] شافي محمّد سيف العازمي، نظريات دراسة المعنى بين التراث اللغويّ العربيّ والدرس اللغويّ الغربيّ، حوليات آداب عين شمس، المجلّد 48، يناير-مارس، 2020، ص، 530.
[3] المرجع السابق، ص ص، 539-540.
[4] على حرب، لعبة المعنى، فصول في نقد الإنسان، ط1، دار مدارك للنشر، الإمارات العربيّة المتّحدة، 2012، ص، 267.
[5] المرجع السابق، ص، 268.

DOI: 10.33193/JALHSS.70.2021.540
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (70) August 2021
العدد (70) أغسطس 2021

في عالم مفارق أو في عقل قاصد أو ذات عارفة"[1].وإنّ القول بالتزامن بين المعاني والألفاظ يستند في جوهره إلى القول بالتوقيف في اللغة، وهو التصوّر الأشيع عند نحاة العربية نظرا إلى انسجامه مع الرؤية الإسلاميّة القائلة بأنّ الله علّمَ آدم الأسماء كلّها.

ويسهب الدارسون في بيان العلاقة الجدليّة بين اللفظ والمعنى، مبيّنين في سياقات كثيرة أنّ المعنى تشكّل تاريخيّا قبل اللفظ، فقد احتاج الإنسان إلى إرساء متصوّرات ذهنيّة يهتدي بها في نظامه الرمزيّ قبل أن يحتاج إلى اللغة، لذا رأى الباحثون أنّ "العلاقة بين اللفظ والمعنى أو الاسم والمسمّى ضروريّة تقوم على فكرة السبق المنطقيّ للمعنى على اللفظ، أو المسمّى على الاسم؛ إذ لا يصبح الاسم اسما إلاّ إذا ارتبط بمسمّى. ويصير اللفظ كلاما إلاّ إذا ارتبط بمعنى"[2]، ويحمل هذا الكلام على أنّ العلاقة بين اللفظ والمعنى ليست اعتباطيّة، وإنّما هي إلزاميّة حتّى يتحقّق المعنى، ذلك المعنى الذي يستقرّ في التصوّر الذهنيّ للمتكلّم باعتباره سابقا للكلمات والألفاظ، وإنّ هذا التواضع مطّرد في جلّ الثقافات واللغات ولكنّ التسميات تختلف من بيئة ثقافيّة إلى أخرى، وقد ظلّت أسبقيّة المعنى جامعا مشتركا في ثقافة الإنسان العاقل.

يكمن المعنى إذن في ثنايا اللغة، وإن أكّدت الدراسات أسبقيّة المعنى تاريخيّا إلاّ أن اكتمال النظام اللغويّ جعل المعنى أكثر اتضاحاف"تكون اللغة جملة من الرموز المؤثّرة والمستقبلة تحتمل العالمين الماديّ، والخلفيّ للأسطورة والقصة الشعبية والفنّ الأمر الذي يجعل منها عمليّة تبادليّة للأخذ والعطاء بين الممكن والمحتمل و الجديد"[3]. فاللغة توسّع المعنى وتعدّده، فهي تحفظ الأنظمة الرمزيّة في نصوص منها ما يتعلّق بالقصص والأساطير والفنون، ومن ثمّة يغدو المعنى ثاويا في هذه النصوص، ولا يمكن أن تنجح العمليّة التأويليّة إلاّ عند استيفاء معاني هذه النصوص، ويذهب الدارسون في تحديد حقيقة المعنى إلى القول بأسبقية العقل على المعنى والنظام اللغويّ، وهي حقيقة تاريخيّة من شأنها أن تجعل نظريّة المعنى موصولة بالإنسان دون سواه باعتباره كائنا عاقلا، فـ"العقل يسبق الفكر واللغة في إدراكه للشيء بهما. العقل هو الذاكرة الفاعلة ومستودع الأفكار ومكمن انطلاقها، لذا فإنّ إدراك العقل للوجود والأشياء يسبق إدراك العقل للأفكار أو اللغة المتعالقة بالتبعيّة التراتبيّة بالتعبير عن وجود الأشياء"[4].

ولمّا كان العقل محدّدا لمتطلبات النظام السيميائيّ والرمزيّ للإنسان، وجد النظام اللغويّ بصفته مكمّلا لأنظمة التخاطب وأكثرها دقّة، فـ"الإدراك اللغويّ مستمد من علائقية إدراك وفهم العقل للأشياء[كذا].وهذا الإدراك يكون قاصرا وظيفيّا ما لم تسعفه اللغة كنسق منظّم في تبيان خواص وتمظهرات الأشياء والموجودات المدركة عقليا وكذلك وجود الإنسان في الطبيعة ومحددات كينونته وجوهره"[5].

ويعتبر البحث في أساس المعنى ومرجعيّاته من المباحث الملحّة التي لا بدّ من استيفائها، فلا يمكن أن تستقلّ دراسات نظريّة كثيرة بتعريف المعنى دون إلمام الباحث بتاريخيّتهومرجعيّاته النظريّة، وإنّ النظر في تراتبيّة (العقل والمعنى واللغة) تكشف عن جدليّة الفكر والمعنى، وتكون اللغة باعتبارها نظاما رمزيّا وسيطا بينهما، فـ"نحن نريد قول أشياء معينة من خلال العبارات التي نستخدمها. هذا هو بالضبط حقيقة أنّ عباراتنا تريد قول

---

[1] المرجع السابق، ص، 268.

[2] عبد الفتاح سعيدي، النصّ بين أنطولوجيّة المعنى ومشروعيّة التأويل، مجلّة علوم اللغة العربيّة وآدابها، المجلّد 13، العدد 1، جامعة الوادي، الجزائر، 2021، ص، 331.

[3] إيمان بلعسري، اللغة من الكلام إلى المعنى، بحث منشور إلكترونيا، موقع كوة،
https://couua.com/2020/09/18/%d8%a7%d9%84%d9%84%d8%ba%d8%a9-%d9%85%d9%86-%d8%a7%d9%84%d9%83%d9%84%d8%a7%d9%85-/%d8%a5%d9%84%d9%89-%d8%a7%d9%84%d9%85%d8%b9%d9%86%d9%89

[4]علي محمّد اليوسف، نظريّة المعنى في فلسفة العقل واللغة، بحث منشور إلكترونيا، موقع كوة،
https://couua.com/2020/05/07/%d9%86%d8%b8%d8%b1%d9%8a%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d9%85%d8%b9%d9%86%d9%89-%d9%81%d9%8a-%d9%81%d9%84%d8%b3%d9%81%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d8%b9%d9%82%d9%84-%d9%88%d8%a7%d9%84%d9%84%d8%ba%d8%a9

[5] المرجع السابق.

DOI: 10.33193/JALHSS.70.2021.540
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (70) August 2021
العدد (70) أغسطس 2021

شيء يجعلها ذات معنى. لكن المعنى يمكن أن يكون هو نفسه في العديد من أفعال الدلالة. عادة ما نريد أن نقول الشيء نفسه عندما نستخدم نفس العبارة"[1].فالفكر دون لغة لا يمكن أن يستوفي شروط المعنى، ولولا اللغة لبقي المعنى في حدود المتصوّر الذهنيّ، مجرّدا، ولكنّ اللغة حوّلته إلى حيّز النصوص الأدبيّة من شعر ونثر، ومن ثمّة تعدّد وغدا لصيقا بالنظام اللغويّ، فـ"اللغة هنا بوصفها أساس المعنى لا هي جوهر مادّي(حضور) ولا قصد حاصل(فعاليّة معرفيّة) بل مجموعة من الأعراف والتقاليد التي تؤلّف الشفرات، وهذه الشفرات يمتلكها أعضاء ثقافة أو مجتمع معيّن، على أنّها القدرة اللغويّة لهم، ولا يعتمد استخدامهم إيّاه على وجود ما يقابلها من الأشياء في العالم الواقعيّ"[2].

وقد استتبع ربط المعنى باللغة ظهور ما اصطلح عليه النحاة بالمعنى التداولي،ويأتي المعنى التداوليّ دليلا على وعي العرب القدماء بأهميّة المعنى في العربيّة، وذهبوا إلى ربطه بالنظام الصوتيّ، فقد ذكر الباحث عبد القادر جعيد "إنّ المعنى التداوليّ الذي يتأتّى لنا من تنغيم هذه الجملة: (زيد في البيت) هو ما يلي: فقد تكون جوابا لسؤال، وقد تكون للاستغراب، أو التحذير، أو الغمز، أو للاستهجان، أو لغير ذلك من الدلالات التداوليّة، بما تقتضيه مقامات التواصل المختلفة"[3]. ومن هنا كان التنغيم خاصيّة صوتيّة للغة العربيّة يميّزها عن نظام الصوتيّات في اللغات الأخرى. وتمتلك الحروف في اللغة العربيّة خاصيّة توليد المعاني، ونخصّ بالذكر هنا حروف المعاني فـ "إنّ لدلالات حروف المعاني من المناسبة وعلاقاتها بالسياق الخارجيّ ما يولّد قيما تعبيريّة تساهم في انفتاح نظام اللغة العربيّة على معطيات الواقع الخارج عن المدى اللغويّ ويمكّن المتكلّمين من دقّة التعبير بما يتوافق مع أغراضهم التواصليّة"[4].

إنّ المعنى التداوليّ تتمّة لما توصّل إليه العرب القدامى في نظريّة المعنى، تلك النظريّة التي طوّرت الدرس النحويّ منذ القديم وبيّنت أنّ النحويّين استخلصوا أنّ المعنى التداوليّ وجه من وجوه نظريّة المعنى، فـ"القدامى من أهل اللغة العربيّة، وهم يتفحّصون كلام العرب حاولوا رصد الأساليب البليغة وأبعادها التداوليّة وما ينبغي أن يلتزم به من رام الفصاحة، وما يجب أن يراعيه المتكلّم من مقتضيات حال السامع وملابسات المقام كي يتسنّى له تحقيق مقصده التداوليّ على أكمل وجه ممكن"[5].وإنّ هذا المعنى التداولي الذي توصّل إليه النحويّون القدامى ساهم إلى حدّ كبير في تطوّر النظريّة الدلاليّة الحديثة، وهي تشكّل"دراسة واعية لطرق التعبير ووجوه إنتاج المعنى؛ إذ تتمّ دراسة القصديّة عبر تتبّع أشكالها المتنوّعة تقصّيا لأثر الإبلاغيّة العليا في إنتاج المعرفة. وتستند هذه النظريّة إلى المستوى الذهنيّ الذي يخترن تنظيما لوجوه الصياغة المعتمدة على ملاحظ التمايز الدلاليّ المنتج لتحوّلات البنية"[6].

وما يمكن الإشارة إليه أنّ نظام المعاني يستند إلى نظام رمزيّ دقيق، وهو توقيفيّ في نظر بعض الدارسين واصطلاحيّ في نظر آخرين، وجدير بالذكر أنّ النظام الرمزيّ لا يتشكّل باللغة فقط، بل إنّ منشأه قائم على الإشارة قبل التواضع اللغويّ، وقد استنتج الإنسان المعاني وتداولها باعتبارها جزءا من ثقافته التي يمتلكها "ومن

---

[1]أحمد رباص، المعنى في فينومينولوجيا إدموند هوسرل، بحث منشور إلكترونيا، موقع كوة، https://couua.com/2021/03/05/%d8%a7%d9%84%d9%85%d8%b9%d9%86%d9%89-%d9%81%d9%8a-%d9%81%d9%8a%d9%86%d9%88%d9%85%d9%8a%d9%86%d9%88%d9%84%d9%88%d8%ac%d9%8a%d8%a7-%d8%a5%d8%af%d9%85%d9%88%d9%86%d8%af-%d9%87%d9%88%d8%b3%d8%b1%d9%84/

[2]وليم راي، المعنى الأدبيّ من الظاهرتية إلى التفكيكيّة، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، ط1، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، 1987، ص، 125.

[3]عبد القادر جعيد، أثر السياق اللغويّ وغير اللغويّ في إبراز المعنى التداوليّ في العربيّة، مجلّة إشكالات في اللغة والأدب، مجلّد 10، عدد 1، جامعة تامنغست، الجزائر، 2021، ص، 1252.

[4] المرجع السابق، ص ص، 1254-1255.

[5] المرجع السابق، ص، 1256.

[6]عبد الله نايف عنبر، النظريّة الدلاليّة: مقاربة بنائيّة لإنتاج الدلالة بين مرايا المبنى وتجليّات المعنى، مجلّة دراسات -العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، المجلّد 33(ملحق)، الأردن، 2006، ص، 11.

DOI: 10.33193/JALHSS.70.2021.540
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (70) August 2021
العدد (70) أغسطس 2021

المقرّر أنّ استحضار النظام الرمزيّ الذي تقام عليه الأبنية ينتج تصورا للمعاني القائمة في النفس بحثا عن نقاط الهيمنة المؤوّلة عن خصوصيّة التشكيل، وتمارس المفاهيم الدلاليّة مستوى وظيفيّا ينظّم حركة العناصر في وحدة بنائيّة تمنح العناصر قيمة خاصة في التعبير عن المعنى المراد. فقيمة الإنتاج الدلاليّ ناتجة عن قدرة العناصر على تشكيل الرؤية الشاملة التي تحكمها وحدة النسق"[1]، ويتأتّى هذا الترابط بين النظام الرمزيّ وإنتاج المعنى انطلاقا من حاجة الإنسان إلى التدليل على نظام الكلمات والأشياء، وهي رغم طابعها التجريديّ المحض، فإنّها تلبّي له حاجة ماديّة وبيولوجيّة يحتاجها في تدبير حياته اليوميّة.

لقد شرح أوغد وريتشاردز صلة المعنى بالنظام الرمزيّ والوعي العقليّ، وهي دراسة مهمّة في سيميائيّات المعنى ووجوهه التداوليّة، وقد بيّنا أنّ "البحث في طبيعة التناظر بين الكلمة والواقعة، بالمعنى الأوسع لهذين التعبيرين، يمثّل المشكلة الخاصّة والكبرى في علم المعنى. وممّا لا يمكن إنكاره أنّ لكلّ كلمة حيّة جذورها في وقائع وعينا وتأريخينا العقليين"[2]. ووفق هذا التصوّر يصبح المعنى ملمحا من ملامح الفكر الإنسانيّ وأحد استتباعاته الرمزيّة، فلا يمكن أن نتصوّر أن حياة الإنسان الرمزيّة خالية من المعنى، فهو الذي حوّل حياة الإنسان من الإشارة إلى النطق، ومن المتصوّر الذهنيّ المبهم إلى الدلالة القصديّة "غير أنّ تحديد ماهيّة تلك الوقائع أمر مختلف تماما. ولاشكّ في أنّ التصوّر البدائيّ يفيد أنّ الاسم يشير إلى الشيء أو يصفه. وهذا يستتبع على الفور إمكان الاستدلال على وجود الشيء بحضور الاسم. هذا هو التصوّر البسيط للأقوام البدائيّة"[3]. وإنّ مثل هذا التصوّر لا يكتمل إلاّ بإقحام الدراسات التاريخيّة والأنثروبولوجيّةفي دراسة المعنى، ذلك أنّ دراسة البدائيين أنثروبولوجيّا يمكن أن تبيّن مدى حاجتهم للمعنى رغم قيام أنظمتهم التواصليّة على نظام الإشارة باليد. ومن هذا المنطلق لابدّ من دراسة المعنى في صلته بالثقافة باعتبارها نظاما رمزيّا ملازما لوجود الجماعات البشريّة.

2-المعنى والثقافة والأبنية الرمزيّة:

أ- السياق الثقافي والاجتماعي للمعنى:

إنّ للمعنى سياقا ثقافيّا واجتماعيّا، وقد خضع إلى سيرورة تاريخيّة، فهو متطوّر وينتمي إلى حقب ثقافيّة واجتماعيّة متتالية يكون فيها مختلفا عن أيّ حقبة سابقة أو لاحقة، فـ"يمكن أن يختلف معنى الكلمة نفسها باختلاف ثقافة المتكلّم الذي وظّفها في سياق معرفته الثقافيّة أو الاجتماعيّة الخاصّة به، مثال ذلك كلمة جذر تعني عند عالم النبات: جذر النبتة في الأرض، وتعني عند عالم الرياضيّات: الجذر الرياضيّ، وتعني عند عالم اللغة: الجذر اللغويّ وأصل الكلمة"[4]. وإنّ الاجتماع البشريّ ينشئ الثقافة والأنظمة الرمزيّة التي يكون المعنى أحد أبنيتها الرئيسيّة، وتكون اللغة أداة له ، ومن ثمّة قد يتكرّر المعنى أحيانا من مجموعة بشريّة إلى أخرى دون أن يحافظ على خصائصه البنيويّة كلّها.

وإنّ النظر في المرجع اللسانيّ والأنثربولوجيّ للمعنى أساسيّ، إذ تنتمي إليه جماعات بشريّة كثيرة تشترك فيتصوّراتها للكلمات والأشياء والمفاهيم والرموز، ويدرس باعتباره محدّدا لبنية ذهنيّة واجتماعيّة، أمّا المعنى، فهو جوهريّ لأنّه منتقل في التاريخ، ويتّسم بالديمومة والتبدّل، فالمعاني التي أجمعت عليها جماعة بشريّة ما تتوارثها الأجيال اللاحقة، فيظلّ المعنى موصولا بما تقدّم محافظا على الهويّة الثقافيّة، و"تقوم فكرة النمط أوّلا وقبل كلّ شيء بوظيفة حلقة الوصل بين المعنى الماضي والمعنى الحاضر وبين معنى المؤلّف ومعنى المؤوّل أيضا ولسهولة الفهم يمكن عدّها مجموعة عليا من إمكانيات المعنى تكتسب عن طريق التعلّم ويشترك فيها أعضاء ثقافة معيّنة"[5]. وتكمن أهمّية النمط في فهم المعنى على اختلاف منشئيه من المؤلّف إلى المؤوّل، وتفسير ذلك أنّ عمليّة التأويل تتوسّل بآليّات النمط الذي اشتقّ منه المؤلّف المعنى، وهنا لابدّ من الإشارة إلى أنّ مفهوم الثقافة جوهريّ في هذا التصوّر، فالثقافة هي الوعاء لتشكّل المعنى الذي ينجزه المؤلّف والتأويل الذي ينشئه المؤوّل وفق متخيّل مشترك وتصوّرات ذهنيّة مؤتلفة.

---

[1] المرجع السابق، ص، 11.
[2] معنى المعنى: دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزيّة، ص ص، 58-59.
[3] المرجع السابق، ص، 59.
[4] نظريات دراسة المعنى بين التراث اللغويّ العربيّ والدرس اللغويّ الغربيّ، ص، 539.
[5] المعنى الأدبيّ من الظاهرتية إلى التفكيكيّة، ص، 105.

DOI: 10.33193/JALHSS.70.2021.540
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (70) August 2021
العدد (70) أغسطس 2021

ولا يمكن فصل المعنى عن سياق التلقّي باعتباره من أبنية الثقافة وأحد أنظمتها الرمزيّة، ذلك أنّ إنتاج المعنى يستقبله القرّاء والمتكلّمون عبر آليّة التلقّي، وهنا تغدو "فكرة الحصول على المعنى من النصّ في حدّ ذاته فكرة مستبعدة كليّا لدى أصحاب نظريّة التلقّي، فلا تعدّ النصوص كبنيات تقدّم المعنى جاهزا للقارئ في نظرهم، بل تقترح أبنية لتوليد المعاني وليس لهذه المعاني وجود حقيقيّ خارج إدراك القارئ، لأنّ النصّ كتابة سلبيّة يتحوّل إلى كتابة إيجابيّة من خلاله أو بفضله"[1]. فلا يمكن للمعنى أن يتبلور ويتحقّق خارج ذهن فرديّ وجماعيّ يحدّده التلقّي في إطار ثقافة ما، فـ"الأثر الأدبيّ لا سبيل لتحقّقه إلاّ من خلال تجاوب النصّ وتفاعله مع القارئ الذكيّ الذي يخلق المعنى عن طريق مخاطبة النصّ والدخول معه في حلقة تواصليّة، وبناء علاقات تفاعليّة مع بنياته السطحيّة والعميقة للمشاركة في بلورة معناه عن طريق كشف الغامض المستتر من خلال الواضح المكشوف، فبقدر ما يرتبط القارئ بالنصّ ويتعمّق فيه بقدر ما يزداد المعنى في التبلور"[2].

ومن مزايا التلقّي تعدّد المعنى وانفتاحه على إمكانات مطلقة، فتنوّع المتلقّين يعدّد المعنى وتصبح العمليّة التأويليّة للكلام والمنطوق والمكتوب منفتحة على آفاق جديدة يمكن من خلالها إثراء الثقافة، فـ"المعنى الذي يريده القارئ لا يتأتّى إليه دفعة واحدة وإنّما عبر جملة من القراءات الممكنة ومستويات متفاوتة وذلك بفعل الإدراك الجماليّ، ولكفاءة المتلقّي المعرفيّة وقدرته على التفسير والتأويل والتفاعل دور هامّ في عمليّة القراءة وبلوغ محطّة بناء موضوع جماليّ"[3].

تتنزّل الكلمات المحمّلة بمعان في سياق الزمان المنقضي كما أنّها تتداول في زمان آنيّ، وفي كلتا المرحلتين المتباعدتين تمتلك خصائص دلاليّة ومقوّمات سيميائيّة فـ"في الزمان قد تثبت معاني الكلمة أو تتطوّر وتتغيّر، كما قد تحدث فيها انحرافات أو انزياحات صغيرة أو كبيرة. وقد تفلت بها في أقصى حالاتها من الحقيقة إلى المجاز. وقد تتطوّر إلى درجة تختفي معها معانيها الأصليّة التي كانت ملازمة لها. وقد تحيى وتموت. وقد تبعث حيّة"[4]، وهذا يدلّ على أنّ صلة المعاني بالكلمات غير ثابتة، بل هي متحوّلة وفي صيرورة مستمرّة، فالكلمات المتداولة في حيّز زمانيّ مّا قد تختفي معانيها وتحلّ محلّها معان جديدة يمليها السياق التاريخيّ وتمثّل المتكلّمين للكلمات والأشياء، فعديد الكلمات التي اطردت في الجاهليّة تطوّرت معانيها المعجميّة والسياقيّة في التاريخ المعاصر، ويرتبط تحليل هذا المستوى الزمانيّ بالمستوى الآنيّ، فقد تمّت دراسة الكلمات في ارتباطها بالمعاني في إطار المناهج الحديثة، فوقع تناولها في إطار المعاني الأول والمعاني الثواني، فـ"في المستوى الآنيّ فقد توحي الكلمة بمعان أصليّة وبمعان حافّة، وقد تتعدّد هذه المعاني وتلتبس إلى حدّ التناقض. وقد توحي الكلمة الواحدة بالمعاني المتقاربة أو المتجاورة وبالمعاني المشتركة والمعاني المترادفة بل وبالمعاني المتضادّة أحيانا، وقد تحمل الكلمة إرثا ثقافيّا حضاريّا يجعلها متميّزة عن غيرها من الكلمات، بل تتضمّن أحيانا شحنات إيديولوجيّة أو سياسيّة أو دينيّة أو غيرها"[5]. وفي هذا السياق لابدّ من الإشارة إلى أنّ للثقافة دورا مركزيّا في هذا الباب، فهي الوعاء الحاوي للكلمات ومعانيها، وهي التي تنقل المعاني من سياق تاريخيّ إلى آخر، وهذا يعود أساسا إلى تشكّل الأبنية الرمزيّة التي تؤثّر في اللغة وتحوّر معانيها ودلالتها.

لقد حدّد الدارسون شروطا للكلام باستيفائها يكتمل المعنى، وهي من المحدّدات البلاغيّة والبيانيّة التي ذكرها القدامى في مصنّفات البلاغة والنقد، وطوّرها المحدثون توسّلا بالنظريّات الحديثة في اللغة واللسانيّات، إذ "يجب على صانع الكلام أن يساير كلامه، أي لا يتقدّم عليه ولا يتأخّر بل يسايره جنبا إلى جنب، كما لا يحمل ألفاظا صعبة على لسانه حملا، بل يترك الألفاظ تنثال عليها انثيالا لا قسرا ويحثّ على الاهتمام والرعاية باللفظ فيجعله

---

[1] خولة بارة، فعل القراءة وآليّة إنتاج المعنى عند فولفغانغ إيزر، مجلّة إشكالات في اللغة والأدب، مجلّد 10، عدد 1، جامعة تامنغست، الجزائر، 2021، ص ص، 1264-1265.

[2] المرجع السابق، ص، 1265.

[3] فتيحة بلحاجي، الأدب التفاعليّ وجماليّات التلقّي: فعل القراءة وإعادة بناء المعنى، مجلّة مقاربات، المجلّد السابع، العدد الأوّل، جامعة الجلفة، الجزائر، 2021، ص، 54.

[4] عبد الحميد عبد الواحد، إسهام النحاة القدامى في ضبط معنى الكلمة، ندوة المعنى وتشكّله، الجزء الثاني، أعمال الندوة الملتئمة بكلية الآداب منوبة، 17-18-19- 11-1999، منشورات كلية الآداب منوبة، تونس، 2003، ص، 579.

[5] المرجع السابق، ص ص، 579-580.

DOI: 10.33193/JALHSS.70.2021.540
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (70) August 2021
العدد (70) أغسطس 2021

مدار البلاغة، ولكنّه يقصد اللفظ الشريف العذب البعيد عن التعقيد اللفظيّ"[1]. ولمّا استكمل الدارسون شروط الكلام كان ضروريّا أن يصلوا ذلك بالمعنى باعتبار أنّ الكلام من أهّم ركائز المعنى، ونبّه اللغويّون إلى صلة اللفظ بالمعنى لما لهذا الثنائيّ من روابط بنيويّة فصّل فيها القول اللغويّون القدامى وخصّصوا لها أبوابا، ويذكر أحد الدارسين المحدثين أنّ"التعقيد يفسد المعنى ويستهلكه بغير فائدة، فالمعنى الشريف يصلح له لفظ شريف والمعنى الكريم يستحقّ اللفظ الكريم، فهذه صنعة تتطلّب مهارة وحذقا من المبدع الذي يشكّل النصّ من نسيج لغويّ، فهو بلاغ لغويّ مكتوب إلى المتلقّي، فمن حقّ اللفظ والمعنى أن يصونهما المبدع من التدنيس أو التشويه في الصياغة أو أداء الدلالة"[2].

وقد أصبحت هذه الشروط بمثابة المقدّمات النظريّة التي لا يمكن لدارس المعنى أن يتجاهلها، وهي مستخلصة من نظر القدامى في مسألة اللفظ والمعنى وما توصّلت إليه النظريّات الحديثة في المعنى، ذلك أنّ الفصل بين آراء القدامى والمحدثين لم يكن قائما على اختلاف في المقدّمات بل كان إجمالا في النتائج وكيفيّات تصريفها، فقد كان المحدثون أبعد نظرا لا سيّما في وصل نظريّات المعنى بالمقام والأبنية الثقافيّة والرمزيّة "فالموازنة بين المعاني وأحوال المستمعين مطلوبة، والكلام عبارة عن طبقات كما أنّ الناس طبقات، ومعناه أنّ الكلام يختلف من طبقة لأخرى، فلكلّ معنى من هذه المعاني ما يناسبه من فئات الناس، فالمبدع عندما يريد أن ينظم شعرا عليه أن يحضر المعاني أوّلا ثمّ يهيّئ لها ما يناسبها من الألفاظ حتّى تؤدّي هذا المعنى المقصود من قبل وينسجها وفق شاكلة بديعة متفرّدة"[3].

ب- الانفتاح على معنى المعنى:

سعى الدارسون إلى تطوير نظريّة المعنى والانفتاح على ما يستتبعها من معارف، ومثّل معنى المعنى ملمحا من ملامح هذا التطوّر، وقد سعى عبد القاهر الجرجانيّ منذ وقت مبكّر إلى بلورة هذا المفهوم، واحتفى الدارسون المحدثون بهذا السبق المعرفيّ وأشادوا به باعتباره تطوّرا وتجديدا في نظريّة المعنى، وفي هذا السياق يقول أحد الدارسين:"إنّ تأكيد الجرجانيّ على أنّ المعنى الحرفيّ لعبارة ما، لا يمكن أن يعني شيئا ما لم يتحوّل إلى دالّ يشير إلى مدلول آخر أكثر عمقا هو (معنى المعنى) أو (المعنى) التالي من حيث وجوده للمعنى الأوّل (الحرفيّ)، هو تفطّن منه لخاصيّة التحوّل الدلاليّ للغة وقابليّتها للمقاربة الدلاليّة التأويليّة من لدن المتلقّي حتّى يفهم مراد المبدع ومقصده"[4].

لقد سبق الجرجانيّ المعاصرين في تفصيل القول في نظريّة المعنى ومعنى المعنى، وهذا دليل على أنّ النظريّة النحويّة العربيّة كانت قد استحكمت وتجاوزت الإطار التقعيديّ إلى مجال استخلاص المعاني النحويّة وسياقاتها دلاليّة ممّا استدعى مقارنة بين ما توصّل إليه الجرجاني وما أصّله "جون كوهن" في نظريّة الانزياح الدلاليّ، يقول الباحث لمين جمعي: "إنّ طرح الجرجاني لنظريّة معنى المعنى يلتقي فيه مع "جون كوهن" حين يورد هذا الأخير مثالا يوضّح فيه مبدأ الانزياح عنده : "الإنسان ذئب لأخيه الإنسان"، فهو يرى عدم ملاءمة المسند للمسند إليه، وهذا يكمن في أخذنا المعنى الحرفيّ "ذئب" أي "حيوان"؛ هذا المعنى الأوّلي الذي يحيل وبالضرورة إلى ثان؛ هو الإنسان الشرير"[5]. وجدير بالذكر أنّ هذا باب من البحث قابل للتطوير والتأصيل، ويكشف في الأن نفسه عن عمق التمثّل النحويّ القديم لنظريّات معاصرة طوّرت الدرس اللغويّ في ثقافات كونيّة كثيرة.

---

[1] عبد الكريم محمودي، ثنائيّة المبنى والمعنى عند أبي هلال العسكري، مجلّة لغة-كلام، مخبر اللغة والتواصل، المجلّد السابع، العدد الثاني، جامعة غليزان، الجزائر، 2021، ص، 367.

[2] المرجع السابق، ص، 367.

[3] المرجع السابق، ص، 367.

[4] قادة عقاق، المجاز اللغويّ ونظريّة المعنى ومعنى المعنى في الموروث العربيّ اللغويّ والبلاغيّ والنقديّ، مجلة قراءات، العدد1، الجزائر، أفريل 2008، ص، 63.

[5] لمين جمعي، المعنى ومعنى المعنى في ضوء الانزياح الأسلوبيّ عند عبد القاهر الجرجانيّ من خلال كتابه "دلائل الإعجاز"، جامعة محمّد لخضر بسكرة، جانفي 2019، ص، 181.

DOI: 10.33193/JALHSS.70.2021.540
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (70) August 2021
العدد (70) أغسطس 2021

ج-قصور دراسات المعنى:

يمكن الإقرار بوجود قصور في الدراسات القديمة والحديثة في نظريّة المعنى، وهو قصور تترجمه النتائج التي تمخّضت عن هذه المقالات، ولكن لا يمكن أن يفسّر بخلوّ نظريّة المعنى القديمة والحديثة من مزايا انعكست على الدرس اللغويّ والبلاغيّ، بل المقصود من ذلك أن النتائج مهمّة لكنّها في حاجة إلى مزيد من الاستدلال والبحث لا سيّما أنّ نظريّة المعنى فتحت أبوابا كثيرة في مجال الدراسات النقديّة والشعريّة الحديثة والمعاصرة، وما ذكره الدارسون في هذا الباب من إنّ"علم المعاني الذي أسفرت عنه محاولة عبد القاهر الجرجاني الفذّة –وهو علم يقوم على فهم التراكيب وأسرارها- يقدّم مادّة وفيرة في صدد محاولة بيان المعنى النحويّ في البناء الشعريّ ولكنّ بعض هذه المادّة يحتاج إلى إعادة النظر. إنّ فهم أسرار التراكيب مستويات، وكلّما كان البحث فيها أكثر ثقافة وإدراكا ومرانة وتمرّسا بالعربيّة، كان فهمه لأسرار التراكيب أدقّ وأقرب إلى الغاية"[1].

إنّ تصوّر الجرجاني لعلم المعاني لم يكتمل نظريّة قائمة بذاتها يمكن أن تساعد الباحثين المحدثين على تمثّل نظريّة المعنى في التراث العربيّ، لقد كان الجرجانيّ على وعي بهذا المأزق المنهجيّ، فعمد إلى وضع الأسس النظريّة التي توصّل إليها في عصره وقدّم اللبنات الأولى لعلم المعاني، ورغم ذلك لم يطوّر النحاة المحدثون ما هفا إليه الجرجانيّ وبقيت الجهود مقتصرة على آرائه في هذا الباب، وكان لذلك استتباعات كثيرة، فقد ذكر محمّد حماسة عبد اللطيف أنّ دعوة المعاصرين إلى توظيف نظريّة المعاني كانت قاصرة ولم تحقّق النتائج المرجوّة، ويعود ذلك إلى ضعف المتن النظريّ في هذا الباب، إضافة إلى خلل منهجيّ وقع فيه النقّاد المعاصرون، فلم تجعل الدراسات المعاصرة "المعنى النحويّ مرتكزا من مرتكزاتها، ولم يظهر في كتابة أصحابها حتّى الآن ما يشير إلى اعتمادهم عليه أو الاستعانة به غير بعض الإشارات القليلة جدّا التي لا تمثّل منهجا متكاملا، وهم معذورون في هذا؛ لأنّ النحاة لم يقدّموا لهم مادّة صالحة لاستغلالها في هذا السبيل، ولم تتألّف مدرسة لغويّة واحدة ذات اتجاه معروف يغذّي بتأثيره التيارات الأدبيّة بحيث تتمخّض عن اتجاه نقديّ في هذا الصدد"[2].

وممّا يجدر ذكره في هذا السياق أنّ النظريّة التقليديّة في المعنى كانت مدار نقد ومراجعة، ويعود ذلك إلى "أنّ النظريّة التقليديّة للمعنى لاتأخذ بعين الاعتبار مجازيّة الدلالة واستعاريّة المعاني. إنّها تقوم على تغييب الطابع السيميائيّ للفكر، نعني طابعه العلاميّ والرمزيّ، وتضرب صفحا عمّا هو التأويل، فهي لا تفسّر لنا كيف تتعدّد الدلالة ويتبعثر المعنى"[3]. ويعود هذا القصور إلى أنّ تمثّل القدامى للكلام كان تمثّلا وصفيّا ولا يخلو من حرفيّة الدلالة، فلم يكن بوسعهم إرساء نظريّة تأويليّة متكاملة تكشف عن مضيّهم في بناء نظريّة دلاليّة سيميائيّة، ولابدّ من الإشارة إلى "أنّ القول بجوهريّة المعنى وأصالته وأحاديّته هو النظر إلى المختلف بوصفه خطأ أو لا معنى له. ولكنّ النظر إلى المسألة على هذا النحو إنّما يقفز عن اختلاف التفاسير وصراع التأويلات، ويجعل من تاريخ المعرفة هذرا ولغوا. والحال فإنّ المعرفة تبدو لمن يتفحّصها بحثا مستمرّا في معنى المقول وتأوّلا للمنطوق به"[4].

ومن النقائص التي أقرّها الدارسون المحدثون والمعاصرون ذلك التصوّر القائل باستقلاليّة المعنى، وأنّ منشأه في ذاته، وإنّ مثل هذا التمثّلينفي التراتبيّة في تاريخ اللغة، ويرى أنّ المعنى لم يتطوّر في إطار ألسنيّ، بل هو متصوّر ذهنيّ قائم بذاته، فـ"النظريّة القائلة بأوليّة المعنى وأحاديّته لا ترى كيف أنّ المعنى لا يتيح في الحقيقة مجالا للتطابق والتواطؤ، بل هو لا يتوقّف عن التضمّن والاشتباه والإحالة الدائمة من دالّ إلى دالّ آخر، بحيث يتحوّل المعنى ذاته أي المدلول، إلى دالّ يدلّ ويختلف"[5]. والواضح أنّ المعنى في ذاته يتضمّن دوال لغويّة دونها لا يمكن له أن يتطوّر ويتحوّل إلى مجال بحث ودراسة في الدرس اللغويّ المعاصر،"فالمعنى ليس هويّة

---

[1] محمّد حماسة عبد اللطيف، فاعليّة المعنى النحويّ في بناء الشعر، ج1، سلسلة دراسات عربيّة وإسلاميّة، مركز اللغات الأجنبيّة والترجمة، جامعة القاهرة، 1983، ص، 136.

[2] المرجع السابق، ص، 140.

[3] على حرب، لعبة المعنى، فصول في نقد الإنسان، ط1، دار مدارك للنشر، الإمارات العربيّة المتّحدة، 2012، ص، 274.

[4] المرجع السابق، ص، 275.

[5] المرجع السابق، ص، 275.

DOI: 10.33193/JALHSS.70.2021.540
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (70) August 2021
العدد (70) أغسطس 2021

وذاتا بقدر ما هو اختلاف واحتمال. واللغة لا تعمل بدلالة الذات بقدر ما يعمل الوعي والذات بدلالة اللغة. والمعرفة لا تسبق الكلام والتسمية بقدر ما هي استنطاق الأسماء عن دلالتها"[1].

وأيّا كانت هذه النقائص في دراسة المعنى سواء في الدراسات اللغويّة المبكّرة أو الحديثة والمعاصرة، فإنّها لا يمكن أن تكون عائقا دون الإقرار بأهميّة النتائج التي توصّل إليها الدارسون، وإنّ هذه النقائص لها أسبابها الموضوعيّة الموصولة بجوهر دراسة المعنى باعتباره خاضعا للتفسير والتأويل ممّا يجعله مستعصيا على الدارسين، إذ "المعاني ليست دائما واضحة وضوحا كاملا، لذا فمن الضروريّ تحديد المعاني وتوضيحها حتّى يتسنّى تحقيق عمليّة الاتصال على نحو صحيح ودقيق. وعادة ما يتمّ ذلك التحديد والتوضيح عن طريق التعريف للألفاظ والتحليل للعبارات، وخاصّة التحليل المنطقيّ، فتحليل عبارات اللغة من شأنه أن يوضّح ما له معنى منها، وما لامعنى له"[2].

الخاتمة:

حاول الدارسون المحدثون دراسة نظريّة المعنى في إطار ما استقرّ في المدوّنة اللغويّة والنقديّة القديمة من آراء ومقدّمات في هذا الباب، وما استجدّ من العلوم في اللغة واللسانيات والأدب، فكانت الدراسات وفيرة في هذه النظريّة القديمة والحادثة، ولكنّها لم تستكمل معالم نظريّة المعنى، ويمكن أن نوجز جملة من النتائج في هذا البحث في النقاط التالية:

-إنّ نظريّة المعنى مبحث مستجدّ، وقد كانت النتائج مهمّة في بحوث، محدودة في أخرى.

- لم يؤصّل النحويّون القدامى نظريّة المعنى، فكانت متفرّقة في متونهم ولا تمثّل مادّة مؤتلفة، ولكن في الآن نفسه أدركوا أهمّيتها ومهّدوا لها بمقدّمات نظريّة ساهمت إلى حدّ كبير في إثرائها لاحقا.

-إنّ انفتاح اللغة واللسانيّات على النظريّات النقدية الحديثة في الأدب ساهم في تطوير نظريّة المعنى وأرسى معالمها الحديثة وحوّلها إلى آليّة لتحليل النصوص ومقاربتها.

-لا يمكن أن نفسّر بعض النتائج المحدودة في مواضع والجيّدة في مواضع أخرى بأنّ نظريّة المعنى غير مكتملة، بل يعود ذلك بالأساس إلى اجتهادات الدارسين ومحاولاتهم الدؤوبة في الإحاطة بنظريّة المعنى.

وإنّ هذه النتائج على اختلافها لا يمكن أن تكون حائلا للمضيّ في تطوير نظريّة المعنى، ولا بدّ للدارسين من البحث عن سبل لتوظيف هذه النظريّة سواء في الدرس الأكاديميّ أو الإبداعيّ، فهي طارئة على الدرس اللغويّ والأدبيّ ممّا يكسبها أهميّة بالغة.

المصادر والمراجع

أ-الكتب والبحوث:

1.أوغدن وريتشاردز، معنى المعنى: دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزيّة، ترجمة كيان أحمد حازم يحيى، دار الكتاب الجديد المتّحدة، دت.

2.حبيب بوزوادة، إشكاليّة المعنى في ضوء النظريّة السياقيّة، مجلّة أنساق، المجلّد الثاني، العدد الأول، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، 2018، ص ص، 83-95.

3.خولة بارة، فعل القراءة وآليّة إنتاج المعنى عند فولفغانغ إيزر، مجلّة إشكالات في اللغة والأدب، مجلّد 10، عدد 1، جامعة تامنغست، الجزائر، 2021، ص ص، 1261-1273.

4.شافي محمّد سيف العازمي، نظريات دراسة المعنى بين التراث اللغويّ العربيّ والدرس اللغويّ الغربيّ، حوليات آداب عين شمس، المجلّد 48، يناير-مارس، 2020، ص ص، 530-544.

5.عبد الحميد عبد الواحد، إسهام النحاة القدامى في ضبط معنى الكلمة، ندوة المعنى وتشكّله، الجزء الثاني، أعمال الندوة الملتئمة بكلية الآداب منوبة، 17-18-19- 11-1999، منشورات كلية الآداب منوبة، تونس، 2003، ص، 579.

[1] المرجع السابق، ص ص، 275-276.

[2] عزمي إسلام، مفهوم المعنى: دراسة تحليليّة، حوليّات كليّة الآداب، الحوليّة السادسة، الرسالة الحادية والثلاثون، الكويت، 1985، ص ص، 155-156.

DOI: 10.33193/JALHSS.70.2021.540
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (70) August 2021
العدد (70) أغسطس 2021

6.عبد الفتاح جحيش، نظريّة المعنى في الفكر النقديّ عند العرب من الممارسة إلى التنظير، دراسة تحليليّة نقديّة، بحث مقدّم لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في الأدب العربيّ القديم ونقده، كليّة الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربيّة، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2016-2017، (المقدّمة)
7.عبد الفتاح سعيدي، النصّ بين أنطولوجيّة المعنى ومشروعيّة التأويل، مجلّة علوم اللغة العربيّة وآدابها، المجلّد 13، العدد 1، جامعة الوادي، الجزائر، 2021، ص ص، 323-337.
8.عبد القادر جعيد، أثر السياق اللغويّ وغير اللغويّ في إبراز المعنى التداوليّ في العربيّة، مجلّة إشكالات في اللغة والأدب، مجلّد 10، عدد 1، جامعة تامنغست، الجزائر، 2021، ص ص، 1244-1260.
9.عبد الكريم محمودي، ثنائيّة المبنى والمعنى عند أبي هلال العسكري، مجلّة لغة-كلام، مخبر اللغة والتواصل، المجلّد السابع، العدد الثاني، جامعة غليزان، الجزائر، 2021، ص ص، 363-370.
10.عبد الله نايف عنبر، النظريّة الدلاليّة: مقاربة بنائيّة لإنتاج الدلالة بين مرايا المبنى وتجليّات المعنى، مجلّة دراسات -العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، المجلّد 33(ملحق)، الأردن، 2006، ص ص، 1-23.
11.عزمي إسلام، مفهوم المعنى: دراسة تحليليّة، حوليّات كليّة الآداب، الحوليّة السادسة، الرسالة الحادية والثلاثون، الكويت،1985.
12.على حرب، لعبة المعنى، فصول في نقد الإنسان، ط1، دار مدارك للنشر، الإمارات العربيّة المتّحدة، 2012.
13. فتيحة بلحاجي، الأدب التفاعليّ وجماليّات التلقّي: فعل القراءة وإعادة بناء المعنى، مجلّة مقاربات، المجلّد السابع، العدد الأوّل، جامعة الجلفة، الجزائر، 2021، ص ص، 49-56.
14.قادة عقاق، المجاز اللغويّ ونظريّة المعنى ومعنى المعنى في الموروث العربيّ اللغويّ والبلاغيّ والنقديّ، مجلة قراءات، العدد1، الجزائر، أفريل 2008، ص ص، 55-69.
15.لمين جمعي، المعنى ومعنى المعنى في ضوء الانزياح الأسلوبيّ عند عبد القاهر الجرجانيّ من خلال كتابه "دلائل الإعجاز"، جامعة محمّد لخضر بسكرة، جانفي 2019، ص ص، 175-189.
16.محمّد حماسة عبد اللطيف، فاعليّة المعنى النحويّ في بناء الشعر، ج1، سلسلة دراسات عربيّة وإسلاميّة، مركز اللغات الأجنبيّة والترجمة، جامعة القاهرة، ، 1983.
17.وليم راي، المعنى الأدبيّ من الظاهرتية إلى التفكيكيّة، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، ط1، دار المامون للترجمة والنشر، بغداد، 1987.

ب-البحوث الإلكترونيّة:

1. إيمان بلعسري، احتواء اللغة للمعنى: اللغة من الكلام إلى المعنى، بحث منشور إلكترونيا، موقع كوة، https://couua.com/2020/09/18/%d8%a7%d9%84%d9%84%d8%ba%d8%a9-%d9%85%d9%86-%d8%a7%d9%84%d9%83%d9%84%d8%a7%d9%85-/%d8%a5%d9%84%d9%89-%d8%a7%d9%84%d9%85%d8%b9%d9%86%d9%89
2.علي محمّد اليوسف، نظريّة المعنى في فلسفة العقل واللغة، بحث منشور إلكترونيا، موقع كوة، https://couua.com/2020/05/07/%d9%86%d8%b8%d8%b1%d9%8a%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d9%85%d8%b9%d9%86%d9%89-%d9%81%d9%8a-%d9%81%d9%84%d8%b3%d9%81%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d8%b9%d9%82%d9%84-%d9%88%d8%a7%d9%84%d9%84%d8%ba%d8%a9
3.أحمد رباص، المعنى في فينومينولوجيا إدموند هوسرل، بحث منشور إلكترونيا، موقع كوة، https://couua.com/2021/03/05/%d8%a7%d9%84%d9%85%d8%b9%d9%86%d9%89-%d9%81%d9%8a-%d9%81%d9%8a%d9%86%d9%88%d9%85%d9%8a%d9%86%d9%88%d9%84%d9%88%d8%ac%d9%8a%d8%a7-%d8%a5%d8%af%d9%85%d9%88%d9%86%d8%af-%d9%87%d9%88%d8%b3%d8%b1%d9%84

DOI: 10.33193/JALHSS.70.2021.540
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (70) August 2021
العدد (70) أغسطس 2021

References

1. Ogdan and Richards, The Meaning of Meaning: A Study of the Impact of Language on Thought and the Science of Symbolism, translated by Kayan Ahmed HazemYahya, New United Book House, ed.
2. HabibBouzawada, The Problem of Meaning in the Light of Contextual Theory, Ansaq Magazine, Volume Two, Issue One, College of Arts and Sciences, Qatar University, 2018, pp. 83-95.
3. Khawla Bara, The Verb of Reading and the Mechanism of Meaning Production for Wolfgang Iser, Journal of Problematics in Language and Literature, Vol. 10, No. 1, University of Tamengest, Algeria, 2021, pp. 1261-1273.
4. Shafi Muhammad Seif Al-Azmi, Theories of the Study of Meaning between the Arabic Linguistic Heritage and the Western Linguistic Lesson, Annals of the Etiquette of Ain Shams, Vol. 48, January-March, 2020, pp. 530-544.
5. Abdel Hamid Abdel Wahed, The Contribution of Ancient Grammarians to Seizing the Meaning of the Word, Symposium on Meaning and Its Formation, Part Two, Proceedings of the Colloquium at the Faculty of Arts Manouba, 17-18-19- 11-1999, Publications of the Faculty of Arts Manouba, Tunis, 2003, p. 579.
6. Abdel-Fattah Gehish, The Theory of Meaning in Arab Critical Thought from Practice to Theorization, an analytical and critical study, a research submitted to obtain a PhD in Science in Ancient Arabic Literature and its Criticism, Faculty of Arts and Languages, Department of Arts and Arabic Language, University of Brothers MentouriConstantine, Algeria, 2016-2017.
7. Abdel-Fattah Saidi, The Text between the Ontology of Meaning and the Legitimacy of Interpretation, Journal of Arabic Language Sciences and Literature, Vol. 13, No. 1, University of the Valley, Algeria, 2021, pp. 323-337.
8. AbdelkaderJaid, The Impact of Linguistic and Non-Linguistic Context in Highlighting the Pragmatic Meaning in Arabic, Problematics in Language and Literature Journal, Vol. 10, No. 1, Tamengest University, Algeria, 2021, pp. 1244-1260.
9. Abd al-KarimMahmoudi, The Duality of Building and Meaning according to Abu Hilal al-Askari, Journal of Language-Kalam, Laboratory of Language and Communication, Volume VII, Issue Two, University of Relizane, Algeria, 2021, pp., 363-370.
10. Abdullah Nayef Anbar, Semantic Theory: A Structural Approach to the Production of Semantics between the Mirrors of the Building and the Manifestations of Meaning, Journal of Studies - Humanities and Social Sciences, Volume 33 (Appendix), Jordan, 2006, pp. 1-23.
11. Azmi Islam, The Concept of Meaning: An Analytical Study, Annals of the College of Arts, Sixth Yearbook, Epistle 31, Kuwait, 1985.
12. Ali Harb, The Game of Meaning, Chapters in Human Criticism, 1st Edition, Dar Madarik Publishing, United Arab Emirates, 2012.
13- FatihaBelhaji, Interactive Literature and the Aesthetics of Reception: The Act of Reading and the Reconstruction of Meaning, Muqarabat Magazine, Volume Seven, Issue One, University of Djelfa, Algeria, 2021, pp. 49-56.

DOI: 10.33193/JALHSS.70.2021.540
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (70) August 2021
العدد (70) أغسطس 2021

14. KadaAqaq, Linguistic metaphor, meaning theory and the meaning of meaning in the Arabic linguistic, rhetorical and critical heritage, Qiraat Magazine, No. 1, Algeria, April 2008, pp. 55-69.
15. Lamin Jami, The Meaning and the Meaning of Meaning in the Light of the Stylistic Deviation of Abd al-Qaher al-Jarjani through his book "Dala'il al-Ijaz", Muhammad Lakhdar University of Biskra, January 2019, pp. 175-189.
16. Muhammad Hamasa Abdel Latif, The Effectiveness of Grammatical Meaning in Building Poetry, Part 1, Arabic and Islamic Studies Series, Center for Foreign Languages and Translation, Cairo University, 1983.
17. William Ray, Literary Meaning from Phenomenology to Deconstruction, translated by Yoel Youssef Aziz, 1st Edition, Dar Al-Mamoun for Translation and Publishing, Baghdad, 1987.
18. ImanBelasari‹The Containment of Language for Meaning: Language from Speech to Meaning, electronically published research, Kuwa website, https://couua.com/2020/09/18/%d8%a7%d %ba%d8%a7 %d8%a7 %delivered hair dabi 98%a7% dimpled8%b9%deyes
19. Ali Muhammad Al-Yousef, The Theory of Meaning in the Philosophy of Mind and Language, electronically published research, Kowa website, https://couua.com/2020/05/07/%d{6%d8%b8%d8%b1%dadona%d8%a9-%d8%a7%d 89% of the 87% of the 87% of the world's hair %b9%d bunnies d8a7% d8a%d8%a9
20. Ahmed Rabas, Meaning in Edmund Husserl's Phenomenology, research published electronically, Kuwa website, https://couua.com/2021/03/05/%d8%a7%d8%b9%d{%d{%d}} %81% d8 d8d8d8 d8a7 −d8%a5%d8%af% Instagram4.